Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ضوء الظواهر الاجتماعية، مما جعله يفيض فى بحث هذه الظواهر بحثًا أدّاه إلى اكتشاف علم الاجتماع أو كما يسميه علم العمران البشرى، بكل علله وقواعده وقوانينه التى استنبطها بعقله الفذ من بنية المجتمع الإنسانى وكل ما يتصل به من العوامل المناخية والجغرافية والاقتصادية والخلقية والمؤثرات البدوية والحضارية والتربوية والدينية. واتخذ من تلك القواعد والقوانين مقاييس لنقد الأخبار التاريخية وتمحيصها، نافذًا إلى وصف دقيق لتطور العرب الحضارى والفكرى، متغلغلا فى بيان البواعث التى تؤدى بالدول إلى الرقى والتقدم أو إلى الانحلال والانهيار، محتكما فى ذلك كله إلى مبدأ العِلّية والسببية، بالضبط كما يحتكم علماء الطبيعة، إذ لا فارق عنده بين الظواهر الطبيعية والظواهر الاجتماعية فى الخضوع للتسبيب والتعليل والقوانين الحتمية.

وخطط المقريزى تاريخ لمصر يضم كل ما انبثّ فيها من ظواهر اجتماعية وبنية طبيعية، ولكى يصوّر اهتمامه بتلك البنية وسكانها سمّاه «المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار» وقد مضى يتحدث عن نيل مصر ومدنها وواحاتها وآثارها، وأفاض فى وصف القاهرة وأسوارها وأحيائها ودروبها وحاراتها وأزقتها وميادينها ومناظرها وبِرَكها وكل ما بها من مبان ومشاهد ومساجد، ودائما إذا تعرض لجامع أو شارع أو دار اتسع فى التاريخ ذاكرًا المؤسس الأوّل، إذ يضع فى كل جانب من الكتاب التاريخ المعاصر مع التاريخ الغابر. ولم يترك جانبًا من جوانب الحياة الاجتماعية فى القاهرة دون تسجيل، فهى مرسومة بل مصوّرة بكل حماماتها وفنادقها وقصورها وأسواقها ومارستاناتها وصناعاتها ومدارسها وخزائن كتبها. ويلتقى بكل ذلك تاريخها السياسى وما انبسط على رقعتها ورقعة إقليمها من ظل للدول المختلفة منذ الفتح العربى، كما يلتقى تاريخها الفكرى العلمى والأدبى وتاريخها الروحى بكل ما جرى فيه من مذاهب فقهية ونزعات صوفية ودراسات دينية وبكل ما كان بها من أديرة وكنائس. ولا ريب فى أن هذا الكتاب يعد إضافة فذّة فى الكتابة التاريخية أضافها هذا العصر، فلأوّل مرة يدرس التاريخ درسًا اجتماعيا من خلال البيئة والسكان وكل ما يتصل بهم من